



عملية التنفس وتأثيرها في النفس

في اللحظة التي تفصل حدود اليقظة عن النوم العميق.. في تلك الهنيهة الخاطفة التي تسبق انعتاق النفس في فضاء الأحلام، تكتنف الشخص النائم حالة سكون، يتولى فيها وعي الباطن زمام الأمور. أما الجسد فيشهد حركة متباطئة لإرادية في نبضات القلب وتماوج الرئتين، تُحضر النفس لتفوص في عالم الباطن، بعد أن ثملت بهبات من أثير الباطن..

غريبة أنفاس الشخص النائم وهي تتباطأ، إلى أن تندثر منها آخر ومضة إرادية، فتصبح تحت سيطرة الجهاز اللاإرادي.. سفير وعي الباطن في الجسد. ترى، ما الذي يتحكم في عملية التنفس خلال النوم وفي معظم أوقات اليقظة؟ هل تلك الميكانيكية الضرورية لاستمرار الحياة هي رهن رسائل الدماغ.. هذه الكتلة العصبية المادية؟ ثم ما تأثير التنفس على النفس، عدا أنه يؤمن الأوكسجين لأعضاء الجسد والخلايا؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، سنبحث في ماهية النفس ودور التنفس على الصعيدين المادي والباطني.

يفيد علم الأحياء (أو علم نشوء الحياة - البيولوجيا) أن الهواء الذي نتشقه، يحتوي على الأوكسجين والكربون والنيتروجين وعناصر أخرى توجد بنسب ضئيلة. والهدف الأساسي الظاهري من عملية التنفس هو إنتاج الطاقة الكيميائية التي يحتاج إليها الإنسان من خلال اندماج وتفاعل الأوكسجين مع المواد الغذائية. وهذه الطاقة الكيميائية ضرورية للقيام بالوظائف الحيوية والحركة والنمو والمحافظة على درجة حرارة ثابتة في الجسد.. لكن هل تلك الطاقة الكيميائية هي الظاهرة الوحيدة على مسرح الجسد، أم أنها تطوي وراء ستارها أبعاداً كيميائية تنشط اللامرئي في الكيان؟

تتوغل علوم الإيزوتيريك في ما وراء ستارة الجسد، لتضيف إلى تلك المعلومات العلمية الظاهرية النواحي الباطنية الخافية، حتى تتجلى الصورة كاملة. وبذلك تفيد أن الإنسان، يحتاج إضافة إلى الأوكسجين والطاقة الكيميائية، إلى طاقة حياة يستمد منها، من جملة ما يستمد، قوة البقاء والاستمرارية. كتاب الإيزوتيريك «رحلة في مجاهل الدماغ البشري» يصفها في ص 119 كالتالي:

«في الفضاء اللامحدود طاقة لا تضاهيها أخرى هي الطاقة الكونية - طاقة الخلق (المعروفة قديماً باسم Prana - طاقة الحياة !) تتجسد هذه الطاقة في الكون تحت اسم «الوجود».. وتتجسد على الأرض تحت اسم «الطبيعة».. وفي الإنسان تحت اسم «الحياة»..

توجد كمية من طاقة «البرانا» هذه في الهواء الذي يتنشق الإنسان. وتتوزع في كل أنحاء الجسد، لا بل في كل أرجاء الكيان المادية والباطنية. أما انتقاصها فيؤدي إلى حالات تعب أو مرض، وإلى ضعف في التركيز والقوى العقلية، كونها تشكل غذاءً للأجسام الباطنية، ولا سيما الجسم العقلي. وهذا ما يفسر لماذا رجال المعرفة يقصدون الجبال العالية من حين إلى آخر، ليستقوا من تلك الطاقة. علماً أنه كلما ارتقى الإنسان وعياً وشفّت أجسامه الباطنية، أضحت هذه الطاقة وقوداً لنشاطه الباطني. ولا عجب في أن العارفين يقومون بمهامهم الباطنية في الليل، بعيداً عن الضجيج، في وقت تتدفق فيه هذه الطاقة بكثافة من طبقات الهواء العليا، قبيل منتصف الليل وحتى الفجر..

مهمة مستقبلية لكل ساع على درب التطور والوعي، أن يتوسع بوعيه ليعي عملية التنفس اللاإرادية وما يتأتى عنها مادياً وباطنياً. وبما أنها تحوي البعد الإرادي واللاإرادي معاً، فسوف تكون صلة وصل بين وعي حواس الجسد ووعي عمل الأعضاء اللاإرادية كالقلب.

زياد دكاش

www.esoteric-lebanon.org